الحركة النسائية الامريكية

في ١٧ نوفمبر سنة ١٦٣٧ أي منذ أكثر من ثلاثة قرون وقفت أول مدافعة عن حقوق المرأة في التاريخ الحديث أمام قضاتها في بوسطن .

تلك كانت Mrs. Anne Hutchinson كريمة أحد رجال الدين ، ومن نابغات النساء المفكرات في عصرها . وقد رقّت صيحتها بالدفاع عن شخصية المرأة وانسانيتها وعن حقها في التفكير المستقل ، وتردد صداها في أقطار شتى جيلاً بعد جيل ، فهي من ألهمت حركة تحرير المرأة وحينما يذكر مثلاً كفاح المرأة المتزوجة في انجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر للحصول على حقها في الملكية ، وفي التصرف المستقل عن زوجها في شؤونها المالية ، ثم كفاحها بزعامة Mrs. Pank hurst في مستهل القرن الحالي لاستخلاص حقوقها السياسية ، وحينما يذكر فوز نساء زيلاندا الجديدة ببعض هذه الحقوق في سنة ١٨٩٣ ، وسيحة قاسم أمين في مصر لتحرير المرأة منذ سنة ١٨٩٩ ، والتطورات التقدمية للحركة النسائية الى أن فازت نساء أمريكا منذ ثلاثين عاماً بحقوقهن السياسية الكاملة وصارت منهن الوزيرات والمندوبات الى الأمم المتحدة ، وكاد الحزب الديمقراطي يرشح Mrs. Elenor Roosevelt لنيابة رئاسة الجمهورية ، وصارت النساء الأمريكيات قوة عظيمة فعّالة غلابة في اقتصاديات الأمة وفي التوجيه الاصلاحي الاجتماعي ، وتألفت الاحزاب النسائية النشيطة في الأقطار التي يتطلع نساؤها إلى المساواة بين الجنسين كحزب (بنت النيل) في مصر التي ترأسه بجدارة الدكتورة درية شفيق — حينما يذكر كل هذا والنهضات النسائية العظيمة التي تسلسلت في أنحاء العالم ، يقتضي الوفاء باكرام ذكرى آن هتشنسون Anne Hutchinson الرائدة الأولى للحركة النسائية .

وإذ نطل من نافذة التاريخ نجد حاكم بوسطن Sir Henry Vane جالساً إلى مكتبه وهو يحاور وفداً من رجال الكنيسة وأعيان المدينة وقد جاء الوفد يلحف في المطالبة بانزال أشد العقوبات بآن هتشنسون بل بالتنكل بها ، ونسمع المجادلة الآتية بينه وبين رجل الدين الأول الناطق بلسان الوفد ، وقد لمع في عيني الحاكم بريق الحزم والسخط

— « ليس في وسعي أيها السادة أن أكرد شاهداً على هذه المرأة الصالحة » . — « وأي صلاح هذا الذي يقترن بدعوى أنها أضرت بالسلام الكنيسة ، وأن رأسها يحتوي رؤوسنا تماماً ، وأن رجال الدين ليسوا وحدهم القادرين على تفسير (الانجيل) المقدس ، وأنه لا حق لرجال الدين في المساهمة على تحقيق الحكم الصالح ، وأن عقل المرأة المخلوقة من ضلع الرجل مساو لعقله ؟ » .

إنَّ هذا هو عين الكفر بإرادة الخالق الذي ميَّز بين الجنسين ، وجعل الرجال قوَّامين على النساء .

— « لا تنسوا أيها السادة أن أجدادكم لم يأتوا إلى هذه البلاد إلاَّ هروباً من الاضطهاد الفكري وتشدداً لحرية العقيدة . وأنا لا أرى ما تردون في شأن هذه السيدة التقية ، ولا يمكن أن ينالها مني أو بواسطتي أي أذى » .

— « ما هذا الكلام يا سعادة الحاكم ؟ إن هذه المجنونة الدعية تثير النساء ضد الكنيسة ، بل تثيرهم ضدَّ الرجال عامة ، وقد نجحت في تجمعها ، فصارت وما زالت تعقد اجتماعات أسبوعية من النساء لمجرد التشهير بنا ، والثورة علينا . وما دمت لا تريد التدخل في أمر هذه الثائرة فسنستعمل حقنا الذي خصَّنا به الإله العلي ، وسنبت في شأنها عاجلاً » .

ثم ودَّعوا الحاكم في شبه غطرسة ، والشرر يكاد يقدح من عيليه . وما كان بوسعه أن ينقذها من مخالبهم وهو يعلم أن مستعمرة خليج ماساشوساس كانت بنظام حكمها شبه ثيوقراطية تسيطر فيها الكنيسة تمام السيطرة على الرجال فضلاً عن النساء .

ثم نظرت مرة أخرى من نافذة التاريخ وكررت النظر ، فشهدت محاكمة Anne Hutchinson على أيدي تلك الطغمة ، وقد وقفت هذه السيدة النابهة في شجاعة تجابه قضاتها الأربعة الذين جلسوا الى منضدة فاصلة بينها وبينهم . ولمحت زمرة من الرجال جالسين على جانبي القاعة ، كما لمحت عدداً من الحراس ، وسمعت بين ما سمعت هذا الحوار بين رئيس القضاة « والمتهمة » : —

— « إنك مذنبة بتآمرك على الكنيسة إذ تعقدين اجتماعات من النساء الغبيات ، وهكن انتقاد مواعظ الأحد وتعاليم الكنيسة ، وتشجيب طائفة الرجال ، ولذلك قرر

نظار الولاية محاكمتك بواسطة هذه المحكمة العامة » .

— لا ذنب عليَّ في شيء . بل الواجب عليكم أن تشكروني بدل مؤاخذتي .

فقد نبهتكم بسلوكي الى أنكم لا توقرون أمهاتكم وزوجاتكم التوقير الواجب ، والى جهلكم تربية بناتكم ، فينشأن خالمات راضيات عن سلب حقوقهن الطبيعية . وان حرمانكم المرأة التفكير في شؤون الكنيسة والمشاركة فيها ، بل حرمانها الاهتمام حتى بشؤونها الخاصة لظلم وخيم العاقبة . واعلموا أيها السادة أن عقل المرأة ليس دون عقل الرجل بل ربما كان أفضل منه ، وأن حقها ليس دون حقه ، وأن ما تتشدقون به من تحليل وتحريم في مواعظ الاحد ليس من المسيحية في شيء . . . . »

ولم تطل هذه المحاكمة الصورية غير يومين ، وانتهت بصدور الحكم بنفيها . . . فانتقلت مع شيعتها الى (رود أيلاند) حيث جعلت الشعار السائد حرية الفكر ، وأنه لا تجوز معاقبة أحد على رأيه المستقل وعقيدته .

ولما توفي زوجها انتقلت الى ولاية نيويورك حيث أسر الهنود الحمر جميع أسرتها البالغ عددها خمسة عشر شخصاً ، وذبحوهم جميعاً عدا طفلتها سوزانا Susana سنة ١٦٤٣ .

وكان أنصار هذه الرائدة الحرة الفكر يعدونها كالقديسة ، ويعتبرون دمها الزكي قرباناً للحرية ، وعلى الاخص لحرية المرأة .